الإهداء

إلى كل : مَنْ لا يرى للحياة قيمة بغير شرع الله

إلى اللّذين:

شقيا لأسعد

وذبلا لأنمو

وعانيا ألم الاحتراق

لأنعم بلذة النور

إلى روح أبي الغالي رحمه الله ... وأمي الحنون ..

وإلى الذين:

شاركوني رحلة الحياة بسرائها وضرائها

فكانوا سندي بعد الله سبحانه وتعالى

الغالية أُم أنس ... المودّة والرحمة

أنس وأُسامة ... الأمل المنشود

أماني وذكاء وآلاء ... نبع الحنان والبراءة

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على قُرَّة عيوننا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد: فإن تعدد مصادر النحو أورثه غزارة في المادة، واتساعاً في أفق البحث. وتلك المصادر تضم إلى جانب كتب النحو: كتب التفسير، والقراءات، ومعاني القرآن، والإعجاز والبلاغة، وشروح الأشعار، وغيرها. وأضحت الحاجة ملحة لدرس هذه المصادر وبيان قيمتها لمعرفة ما تركه الأسلاف في هذا المجال، ولإغناء الدرس النحوي بمصادر جديدة تفيدنا في الوصول إلى آراء جديدة.

ولكتب التفسير الصدارة لهذه المصادر جميعاً، إذ أن هدفها توضيح المراد من كلام الله تعالى بحسب الطاقة البشرية. والنحو هو إحدى المواد التي تؤدي إلى تحقيق هذا الهدف الكبير. فلا عجب أن تكون كتب التفسير مصادر ثرية لمادة النحو. فقد عرض أغلبها لإعراب آيات القرآن وتوجيهها توجيهاً نحوياً، وصحب هذا غالباً تناول موضوعات نحوية بالبحث بقدر أو بآخر وكان عدد من المفسرين يقدمون لتفاسيرهم بمقدمات نحوية تتضمن طائفة من الآراء الحرية بالدراسة والبحث، كما فعل ذلك الرازي مثلاً. وقد حفظت كتب التفسير كذلك نقولات من كتب نحوية مفقودة لها قيمتها في مجال البحث النحوي. فضلاً عن أن كثيراً من المفسرين كانوا على سعة من العلم بالكلام والمنطق، فامتزجت مباحث النحو لديهم بهذين العلمين، وتمخضت عن بحوث وآراء لا نجد طائفة منها في كتب النحو، فهذا كله مما يحفز على دراستها. وكان الرازي من المفسرين المبدعين، وتفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) يشهد له بذلك، فقد ضمّ مباحث متعددة في العلوم

obeikandi.com

الإسلامية بعامة وعلوم العربية بخاصة، وكان النحو أحد هذه العلوم التي تناولها الرازي في تفسيره بدقة وعمق، ونالت عناية النحاة الذين جاؤوا من بعده فأخذوا عنه طرفاً منها، وناقشوه في عدد مما أورده من آراء وأقاويل نحوية. وليس هذا بمستغرب فقد ضرب هذا الرجل في علوم العربية بسهم وافر، وشارك في مختلف علومها من: بلاغة وأدب ولغة ونحو، وكان له في النحو أكثر من كتاب، مما يدل على تقدمه فيه، إلا أنها فقدت فيما فقد من مصنفاته، وحرمنا بذلك من جهد هذا العالم في هذا الميدان المهم من ميادين العربية. ومع هذا بقي تفسيره الضخم ميداناً فسيحاً لمباحث وموضوعات نحوية ثريّة ومتعددة، ولذلك عزمت مستعيناً باللّه وحده على دراسته لأبين منهجه النحوي فيه عامداً إلى موازنته بما تفرّق من آرائه النحوية في كتبه الأخرى التي وصلت إلينا اليوم، وذلك ليتجلى هذا المنهج بكفاية، ويتضح من ثم الجهد الكبير الذي بذله في ميدان النحو.

وقد جعلت البحث في خمسة فصول وخاتمة، تناولت في الفصل الأول (حياة الرازي ومصنفاته وتفسيره) فتكلمت على اسمه ولقبه وكنيته، وولادته ونشأته وأسرته، وثقافته، ورحلاته، وعقيدته، وشيوخه، وتلاميذه، ووفاته. ثم تناولت مصنفاته فقسّمتها على ثلاثة أقسام: المطبوعة، والمخطوطة، والمفقودة. وحققت نسبة أحد الكتب المطبوعة إليه، ووقفت عند ما نسب إليه من الكتب النحوية، فبينت ما صحت نسبته إليه منها وما لم تصح، ومنها بعض المخطوطات التي نسبت إليه. ثم تكلمت على تفسيره وبينت مكانته وعرضت لموضوع إتمامه له.

وتناولت في الفصل الثاني: (مصادره في النحو)، فعرضت للكتب التي كان يستقي منها مادته النحوية، وجعلتها على أربعة أقسام هي: كتب النحو، وكتب معاني القرآن وغريبه، وكتب التفسير، وكتب الإعجاز، وبينت منهجه في النقل منها، وتعامله مع المواد المنقولة.

وجعلت الفصل الثالث خاصاً بمادة: (أصول النحو)، فعرضت للأصول التي تناولها في تفسيره، وهي السماع، والقياس، والإجماع، واستصحاب الأصل. وظهر لي أن للرازي جهداً حسناً في هذا المجال.

وتناولت في الفصل الرابع: (مباحث النحو)، فتكلمت على الحدود النحوية لدى الرازي، والعوامل، والعلل النحوية، والخلاف النحوي، وبينت أخيراً مذهبه النحوي.

وجعلت الفصل الخامس وهو الأخير بعنوان: (آراؤه النحوية) فقسّمته على أربعة أقسام: تناولت في الأول بحثه لمسائل نحوية متفرقة، وبينت فيها ما ذهب إليه من الآراء، وما نتج عنها من صدى لدى النحاة الذين جاؤوا بعده. وتناولت في القسم الثاني: أثر عقيدته في بحثه النحوي وفي الثالث: آراءه النحوية التي تفرد بها. وفي الرابع: مؤاخذات على منهجه وآرائه في النحو. وقد رجعت في بحثي إلى مصادر كثيرة ومتنوعة تضم: كتب التفسير، ومعاني القرآن وإعرابه وغريبه، وكتباً في النحو قديمة وحديثة، وكتباً أخرى في التراجم. ومع أن تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) بأجزائه الاثنين والثلاثين كان ميدان دراستي لمنهجه النحوي، إلا أني استعنت مع ذلك بعدد من كتبه الأخرى مثل: المحصول، ولوامع البينات، وعصمة الأنبياء، ونهاية الإيجاز، ومناقب الشافعي، وعجائب القرآن، في الكشف عن طائفة من آرائه النحوية التي سبقت التفسير أو جاءت بعده من أجل الموازنة بينها وبينه ومتابعة التطور الذي طرأ في المادة والمصطلح.

د. طلال يحيى إبراهيم الطوبجي